

## الفصل الحادي عشر

### مفهوم وتاريخ وموضوعات الجغرافية البشرية

#### تمهيد منهجي

في الفصل الأول من القسم الأول رأينا أن تطور الجغرافيا ، حسب المدرسة الماركسية ، أدى الى ظهور قسم الجغرافية الطبيعية وقسم الجغرافية الاقتصادية ؛ ورأينا أن من فروع الجغرافية الاقتصادية : الجغرافية السياسية والجغرافية السكانية ، ولم يؤت على ذكر الجغرافية البشرية . أما المدارس البورجوازية فيرى الكثير منها بروز القسمين التاليين في تطور الجغرافية : الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ، حيث في هذه الأخيرة الفروع الأساسية التالية : الجغرافية السياسية والجغرافية الاقتصادية والجغرافية الاجتماعية ؛ والفروع الثانوية التالية : الجغرافية التاريخية والجغرافية العرقية ، حيث أيضاً الجغرافية السكانية .

الواقع ان الاختلاف هنا شكلي ، على اعتبار أن الموضوعات نفسها تتواجد بشكل عام في نفس القسم الثاني ، المقابل للجغرافية الطبيعية ، وان اختلفت التسمية لعنوان هذا القسم . فالجغرافيا السكانية مثلاً هي العنوان في المدرسة الماركسية ، في حين تصبح جزءاً من الجغرافية العرقية في المدارس البورجوازية ، كذلك موضوعات الجغرافية الاجتماعية تتواجد في المدرسة الماركسية في الجغرافيا السكانية ، ولو جزئياً ، في حين أنها فرع خاص في المدرسة البورجوازية . هذا ويبدو لنا في نهاية المطاف أن منطلق الأخذ بعنوان الجغرافية البشرية لهذا القسم الثاني في المدرسة البورجوازية يعود لمدرسة الجغرافية البشرية الاقليمية الفرنسية ، حيث تستوجب الدراسة المحلية أو الاقليمية كل أنواع الجغرافية لمعرفة الاقليم المذكور . بالتفصيل اللازم . وفي هذه النقطة أصبح ما يصلح للاقليم يصلح للبلد بكامله ولكل البلدان . إنما يبدو لنا أن خلف هذا الخلاف في عنوان هذا القسم ، يكمن لدى المدرسة الماركسية الشعور الواضح بأهمية الاقتصاد ودوره المقرر في تطوير المجتمع ، دون نكران دور الإنسان الواضح أيضاً ، على اعتبار أن العملية الاقتصادية

تفترض العلاقة الجدلية فيما بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج ، حيث العامل البشري في عملية التطور الاجتماعي ودوره المقرر لمجمل العملية الإنتاجية ، التي تقرر عملية التطور الاجتماعي نفسه . إذن المنطلق المادي في النظرة الى الكون وفي التفكير من نتائجها الطبيعية والمنطقية قادنا الى تسمية القسم المعني بالجغرافية الاقتصادية والفروع التابعة له بمختلف الأسماء . أما لدى المدارس البورجوازية فالنظرة المثالية والميتافيزيكية الى الوجود تؤدي ، وهذا منطقي وطبيعي ، الى عنونة القسم المعني بالجغرافية البشرية ، لتصبح الجغرافية الاقتصادية فرعاً لها مع باقي الفروع كما رأينا .

هذا ونحن في هذا القسم الثاني أخذنا بالمنهجية الماركسية واعتبرنا الجغرافية السياسية فرعاً للجغرافية الاقتصادية ، وكذلك الأمر بالنسبة للجغرافية السكانية في القسم الثالث . وبالتالي فتناولنا للجغرافية البشرية هو استكمالي ولضرورة المقارنة ، إنما على أساس تعريفها وذكر موضوعاتها فقط ، والتي عالجنا البعض منها ، كالجغرافية الاقتصادية والجغرافية السياسية ، وسوف نعالج البعض الآخر كالجغرافيا السكانية . هذا وما تبقى من الجغرافية البشرية كالأجناس والعروق وبعض الشيء عن الجغرافية الاجتماعية ، فسوف ندرجه في الفصل الذي بين أيدينا عن الجغرافية البشرية ، وذلك لاستكمال اللوحة للمدرسة البورجوازية وأيضاً إبقاء الخط الواضح في الإستمرارية بين القسم الأول والثالث للهيكل النظري للجغرافية الاقتصادية ، بحيث يكون القسم الثاني ميدان فرع استطرادي للجغرافية الاقتصادية ليس إلا : الجغرافية السياسية . وهذا بالطبع لا يؤثر على المنهجية التي اتبعنا . كما أن أخذنا بالمنهجية المذكورة يقوده هاجسنا الأول والأخير للواقع ، وهو موضوع الجغرافية الاقتصادية ، الذي بدأنا به في القسم الأول وسوف نستكمله في القسم الثالث ، طارحين بذلك ما يمكن تسميته المقدمة لدراسة الجغرافية الاقتصادية أو بالأحرى الإطار النظري للجغرافية الاقتصادية التطبيقية ، التي سوف نتناولها عالمياً عبر القطاعات وإقليمياً عبر البلدان ، حيث سيكون التركيز على بلدنا لبنان وباقي البلدان العربية ، التي سنأخذها منفردة كوحدة إقليمية لتسهيل الدراسة وإيجازها وطرح الإطار الجغرافي الاقتصادي للدراسات الاقتصادية التطبيقية لمستقبل الاقليم كسوق وكوحدة اقتصادية .

هذا وتعود أهمية الجغرافية البشرية لاهتمامها بنشاطات الإنسان وأفكاره وحياته العصرية . كما تزداد أهمية معرفة حياة الشعوب الأخرى ومشاكلها مع التطور السريع للنقل والمواصلات ، المؤدي الى جعل العالم صغيراً متلماً على بعضه البعض . هذا ولا بد من الإشارة الى أن تقسيم الجغرافية الى جغرافية طبيعية وجغرافية بشرية ، لمباشة المدارس البورجوازية وتحديد ما يقصد بتسمية هذا القسم الثاني لا يعني إقامة فاصل بين القسمين ، فالواقع الحياتي المعاش للمجتمعات البشرية يفترض العكس في واقع الحال ، إذ أنه يرى العلاقة الجدلية فيما بين القسمين . وبالتالي فالتقسيم هو

توافقي ولغرض الدراسة . فبناء عليه ما هو موضوع الجغرافية البشرية ؟

### تحديدات الجغرافيا البشرية

الواقع ان الجغرافيا البشرية أو « الجغرافيا الاجتماعية »<sup>(١)</sup> حسبما يسميها البعض ، تمر بفترة حرجية منذ أواسط هذا القرن الذي نعيش - القرن العشرين - من جراء اختلاف وجهة النظر فيها ولدرجة جعلت ماكس دريو (Max Derruau) يرى « أن مفهومها يختلف ويتعدد بمقدار ما هنالك من جغرافيين »<sup>(٢)</sup> . فبعض الجغرافيين لا يزال نظرتهم اليها نظرة كلاسيكية ، في حين أن غالبيتهم اكتشف لها بعض المعاني والمرامى الجديدة ، رغماً عن أنه لم يغير قاعدة من قواعدها المعروفة<sup>(٣)</sup> .

فحسب أبسط تحديد فإن الجغرافية البشرية هي علم الإنسان المستقر في مسكن (L'homme habitant) . وذلك الإستقرار يفترض العيش في مكان ما من الأرض للحصول منها على ما يشبع حاجاته الأولية في العيش وبعض الإضافية للتعيش . كما نجد الإشارة إلى أن هيرودوت ويوليوس قيصر وتيت ليف يشعرون القارىء لهم أحياناً ، وحتى قبل سترابون ، بالجغرافيا البشرية<sup>(٤)</sup> .

أما أ. ديمنجون (١٨٧٢ - ١٩٤٠) في كتابه « مشاكل الجغرافيا البشرية » فيعرف الجغرافيا البشرية في المقدمة بأنها « دراسة العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة والجماعات البشرية من حيث نمط حياتها ودورها في تشكيل سطح الأرض وكقوة وراء كل نشاط ، يخلص الى أنها تهتم بدراسة أربعة موضوعات هي :

١ - العلاقة بين المجتمعات الإنسانية والأقاليم الطبيعية الرئيسية وما ينجم عن ذلك من أنماط حياة هي في واقع الأمر استجابات متباينة لبيئات طبيعية متباينة .

٢ - تطور المدنات .

٣ - توزيع البشر مع اهتمام بالزيادة الطبيعية والكثافة والهجرة .

(١) د. عبد الصالح محمد وهبة، جغرافية الانسان، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠، المقدمة ص ٩ كما تنفي الإشارة الى أن استعمال عبارة « الجغرافيا الاجتماعية » كبديل لعبارة « الجغرافيا البشرية » يبدو غلطاً كبيراً ولم يصادف عند أي ذات - آخر في الموضوع ، سيما وان الجغرافيا الاجتماعية هي فرع من فروع أو موضوعات الجغرافيا البشرية ( أنظر وهبي وغيره في الموضوع )

(٢) د. فزاد محمد، انقصار ود. محمد رشيد العيل ، أصول الجغرافيا البشرية، وكالة المطبوعات، والمقدمة بتاريخ ١٩٨٠ ( ص ١٣ ) د. فزاد محمد، انقصار ود. محمد رشيد العيل ، أصول الجغرافيا البشرية ، ص ١٣ .

(٣) د. عبد الصالح محمد وهبة ، جغرافية الإنسان ، ص ١٣

Maurice Le Lannou, La Géographie Humaine, Flammarion, Paris, 1949, p. 170

(٤)

٤ - السكن<sup>(٥)</sup> .

أما حسب تحديد الجغرافي ب. م. روكسي (١٨٨٠ - ١٩٤٧) « فالجغرافية البشرية تقوم أولاً على دراسة تأقلم المجتمعات البشرية مع الوسط الطبيعي الذي تعيش فيه ، وحيث تدخل تجاربها الاقليمية ، وثانياً على دراسة العلاقات فيما بين الأقاليم ، والمشروطة بمجموعة من التأقلمات والتوجهات الجغرافية للجماعات ، التي تعيش في هذه الأقاليم »<sup>(٦)</sup> .

فالجغرافيا البشرية عنده هي دراسة التأثير المتبادل بين البيئة والإنسان . ويعني روكسي بالتأقلم ليس مجرد استجابة الإنسان لظروف البيئة الطبيعية بل أيضاً الاستفادة من عناصرها وما يمكن أن يقوم به في هذا السبيل ؛ الأمر الذي يؤدي لأن يكون لديه في الجغرافيا البشرية الفروع الأربعة التالية : الجنسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية<sup>(٧)</sup> . (١٠٣) .

وقد وجدت كلمات تعريف روكسي صداها في تعريف الجغرافي المعاصر البروفسور أريز جونز ، الذي حدّد الجغرافية البشرية « بأنها تهتم بنواحي الحياة البشرية في علاقتها المستمرة والمتبادلة - المتغيرة بالطبيعة على مختلف أشكالها ، والمؤدية لذلك الى تشكيل المناطق والأقاليم المختلفة »<sup>(٨)</sup> .

فبناء على ما ذكرنا بالإمكان تحديد الجغرافية البشرية بالأثر الذي يحدثه الوسط الجغرافي في حياة ونشاطات وتطور وتوزع المجتمعات الانسانية على الأرض ، مع الاعتراف في الوقت نفسه بأثر ردة فعل الانسان هنا على الوسط الجغرافي نفسه . وردة الفعل هذه تزداد أهميتها وقوتها ويزداد فعلها نتيجة تطور معرفة الإنسان العلمية ومهارته في التكنيك والتكنولوجيا .

أما المعاني والمرامي الجديدة للجغرافيا البشرية ، والتي أخذها غالبية الجغرافيين ، فقد تجلت في التعريفات التي توضح ميدان موضوعاتها ، فلنذكر ذلك فيما يلي .

### موضوعات الجغرافيا البشرية

ميدان الجغرافيا البشرية يفسر إذن حسب الجغرافيين . وفي طليعة المجددين هنا

(٥) د. عبد الفتاح محمد وهيب ، جغرافية الانسان ، ص ٢٨ .

(٦) H. Robinson, Human Geography, p. 5

(٧) B.M. Roxby, the Scope and Aims of Human Geography, Scot. Geog. M, 46, 1930

(٨) H. Robinson , Human geography, p. 5

الجغرافي الفرنسي جان برونز (J. Bruhns) (١٨٦٩ - ١٩٣٠) ، الذي يغلب عليه الطابع الانتوغرافي فيما يكتب ، وحيث التركيز على الجهد البشري ونتائجه في سطح الأرض ، وكذلك العناية بالتفاصيل المرئية التي يمكن تصورها أو رسمها . ومع ذلك فقد ضاق موضوع الجغرافيا البشرية لدى برونز بالنسبة لما كان عليه لدى استاذة فيدال دي لابانش ليحصر في النقاط الثلاث التالية ، في كتابه الجغرافيا البشرية<sup>(٩)</sup> .

أولاً : نتائج العمل غير الإنتاجي ، كالمساكن وأماكن الإقامة والطرق .

ثانياً : نتائج تطور النباتات والحيوانات ، كالأراضي المزروعة والحيوانات الداجنة .

ثالثاً : نتائج الإقتصاد « المهتم » كإستثمار المناجم واستصلاح الأراضي وانقراض الحيوانات<sup>(١٠)</sup> .

فهذه الأمور حسب برونز تغطي كل ميدان الجغرافية البشرية ، التي لا يدخل فيها غيرها .

كذلك في حين أن روكسي رأى أربعة فروع رئيسية في الجغرافية البشرية وهي : العرقية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية كما مر معنا . فإن برونز وكما رأينا استثنى العرق والسياسة وبعض المظاهر الاجتماعية من مضمون الجغرافية البشرية ، لأن حلها يستحيل على الجغرافية وحدها ويستدعي علوماً أخرى . أما إبقاؤها ، بالنسبة لغيره ، في ميدان الجغرافية البشرية فيعود الى كون الجغرافية البشرية تهتم بالعلاقة القائمة بين الإنسان ووسطه ، حيث هذه المسائل - العرق والإجتماع والسياسة - متواجدة وتستوجب بالتالي الدراسة .

هذا ويرى البعض في استثناء العروق من الجغرافية البشرية كونها تعود الى حقل الانتروبولوجيا ، وبالتالي إذا ما أضيفت الى الجغرافية البشرية فمقرونة بجغرافية السكان ، التي هي بدورها جزء من الجغرافية الاجتماعية كما رأينا . نفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة للجغرافية السياسية ، التي يدخلها البعض في الجغرافية البشرية ويستبعد البعض الآخر . ومع ذلك فإدخال الجغرافية الاجتماعية والجغرافية الاقتصادية والجغرافية السياسية في الجغرافية البشرية يسهل الأمر ويبسط التقسيم للدراسة .

عل أن المآخذ الكبير على برونز هو اهتمامه بالمساكن وإهماله السكان . ورغماً

(٩) د . عبد الصاح محمد وهبة ، جغرافية الاسكان ، ص ٣٢ .

(١٠) J. Bruhns , Human Geography, Frans E. Row, London 1952, p 48-76

عن ذلك فكتابه يعتبر من المحاولات الناجحة لوضع قواعد للجغرافيا البشرية على غرار قواعد الجغرافيا الطبيعية ، حسب ولدريدج ، حيث أروع ما سطر في « دراساته البيئية المجهريّة لواحتي مزاب والسوف في الصحراء الجزائرية ووادي انيفور (Val d'Annivurs) في سويسرا » ، ففيها يبدو أنه بلغ هدف الجغرافيا الا وهو « النظر الى الأشياء مجتمعة »<sup>(١١)</sup> .

وإهمال الإنسان في دراسة الجغرافيا البشرية لم يقتصر على برونز في المدرسة الفرنسية ، بل تعداه الى المدرسة الاميركية لدى ك. سور (C. Sauer) والإنكليزية لدى ر. ديكنسون (R. Dickinson) . فقد اهتمتا بالمظهر الخارجي للبيئة بعناصرها الطبيعية والحضارية ، بمعنى آخر بالاماكن وليس بالناس . وبالتالي لم يبحثتا تأقلم الإنسان واستجابته لظروف البيئة ؛ الأمر الذي انتقده الجغرافي الأميركي « تروارثا » لأن السكان حسب رأيه هم مصدر كل تغيير في قسامات المظهر الخارجي (Landscape)<sup>(١٢)</sup> . وقد نجح تروارثا في عرض وجهة نظره لدرجة أن اقتنع بها معظم الجغرافيين البشريين . والدليل على ذلك الإهتمام بالسكان لدرجة الصدارة ، في معظم كتب الجغرافيا البشرية الحديثة وبعض كتب الجغرافيا الاقليمية .

هذا في حين أن م. سور (Max Sorre) في كتابه الموسوعي ( ثلاثة أجزاء ) « قواعد الجغرافيا البشرية » (Les fondements de la Geographie humaine) (١٠٤) . إهتم بشكل مركز بالنواحي البيولوجية والاجتماعية ولدرجة تجعلنا نصف: جغرافيته بأنها من النوع « البيولوجي الاجتماعي » . فقد « رأى فقط ما في البيئة من توازن واتساق بيولوجي أو اجتماعي وغض الطرف عما فيها من عدم توازن يفسره التاريخ . فلم يكن التاريخ لينغريه إلا بقدر قليل وهو في ذلك يختلف عن فيدال دي لابلاتش وديمنجون »<sup>(١٣)</sup> .

ومن المدرسة الفرنسية الحديثة أيضاً بيير جورج (P. George) الذي أخذ بمنحى آخر في فهم مرامي الجغرافيا البشرية ، على اعتبار أن الإنسان هو محور اهتمامه ، إنما من ناحية أنه منتج ومستهلك في الوقت نفسه (Consommateur producteur) . وقد كتب في غرض الجغرافيا البشرية ما يلي : « من الأمور الأساسية لحياة ووجود الإنسان

(١١) نقلاً عن د. عبد الفتاح محمد وهيب ، جغرافية الانسان ، ص ٣٣ .

(١٢) G. Treawartha, A case for population geography, Ann. Ass. Amer. Geog. 43, 1953, p.

71-77

(١٣) د. عبد الفتاح محمد وهيب ، جغرافية الانسان ، ص ٣٤ .

القاطن ( المستقر في مسكن - L'homme-habitant <sup>(١٤)</sup> ) أن يكون مستهلكاً .  
 وليكون مستهلكاً عليه أن يكون ، بطريق مباشر أو غير مباشر منتجاً . إن نقطة البداية  
 في الجغرافيا البشرية هي في نظرنا دراسة الوسائل التي تضمن للجتماعات البشرية  
 البقاء <sup>(١٥)</sup> . كما حرص بيير جورج على دراسة ظاهرات الجغرافيا البشرية - وهي  
 الاقتصادية برأيه - في إطار الوحدات السياسية ، إنما غير معير الإهتمام للتاريخ  
 والعلاقات المتبادلة بين الإنسان وعناصر البيئة الطبيعية في تفسيرها ، فشابه بذلك  
 جغرافي جامعة لوند (Lund) في جنوب السويد ، الذين كانوا يختلفون عنه بأنهم  
 يركزون على الناحية التحليلية ، إنما يدرسون الظاهرة الجغرافية منفصلة عن غيرها من  
 الظواهر ، الأمر الذي جعل م . دريو (Max Derruau) يتحسر على تلك العزلة  
 للظاهرة الجغرافية مشيراً الى كبير دور الخدمة التي كان بإمكان مدرسة لوند تقديمها لو  
 أنها قرنت التحليل بالإستنتاج التلخيصي ( « توليفي » - Synthetic ) <sup>(١٦)</sup> . وقد وضع  
 م . دريو مؤخراً التعريف التالي الجديد للجغرافيا البشرية والجامع لما سلف من تعاريف  
 ( الإنسان القاطن ، الإنسان المنتج - المستهلك ، المظهر الخارجي - Landscape )  
 جانبها التوفيق . فهي عنده : « علم العلاقات المتعددة التي تفسر أعمال الإنسان  
 وأساليب حياته في موطنه من سطح الأرض » <sup>(١٧)</sup> . ومع ذلك ، وفي إطار الرؤيا  
 البورجوازية ، فالتعريف الأول أقل ما يقال انه مجرد غير ملموس والثاني ضيق النطاق  
 لواقعيته واكتفائه بالناحية الحياتية الملموسة وإهماله النواحي الأخرى كالتدين والتسلية  
 واللهو - حسب المدرسة البورجوازية بالطبع - وأما الثالث فلا يغني كثيراً لتركيزه الأهمية  
 على المراتب في الطبيعة وإهمال الإنسان وإهماله السكان ، وهم القوة الفاعلة المغيّرة  
 في كل بيئة . على أنا نرى في التعريف الثاني لبير جورج النواة الصحيحة ، والتي لا  
 غنى عنها ، لأي تعريف في الموضوع .

لذلك فلا غرابة أن يكون هذا الفصل صغيراً لأنه تعريفي ليس إلا ، وحتى في

(١٤) هذا التعريف أشرنا اليه في بدء استعراض التعريفات للجغرافيا البشرية وهو مستمد من كتاب : M. Le  
 Lamou, La Geographie humaine, Paris 1949.

الذي يأخذ بالمنهج التاريخي ويعرف الجغرافيا البشرية بأنها علم (L'Homme-habitant)  
 P. George, Reflexions sur la geographie humaine à propos du Livre de M. Le Lannou, (١٥)  
 Ann. Geogr. 1950, p. 214-218.

M. Derruan , Précis de Geographie humaine, Paris 1963, p. 15 (١٦)

(١٧) المرجع نفسه ص ١٦ هذا مع الإشارة الى أن هذا التعريف لا يتعارض مع هدف الجغرافيا ، حسب  
 رأي هارتسهورن الذي يعتبر من أشهر من كتب في منهج الجغرافيا الحديثة ومشكلاتها ، إذ يقول :  
 «Geography is concerned to provide accurate, orderly, and rational description and inter-  
 pretation of the character of the earth surface» (R. Hartshorne, perspective on the nature  
 of Geography, London 1960)

حال الأخذ بالموضوعات التي أشرنا إلى إدخالها فيه فسنكتفي بالتسمية أو الإشارة الموجزة كل الإيجاز إلى كل منها مقروناً بالخرائط إذا أمكن الأمر . إنما قبل ذلك لا بد من المأمة نستعرض فيها الجغرافيا البشرية في التاريخ للتعرف على مدارسها المتتالية ، حيث يظهر بجلاء كلي أثر الوسط الجغرافي في الجغرافيا البشرية عبر الحتمية وردة فعلها الامكانية الجغرافية في دراستها .

### مدارس الجغرافيا البشرية

#### الجغرافيا البشرية عند اليونان والرومان

الواقع ان الجغرافيا اليونانية وكذلك الرومانية احتوت لمحات عن الجغرافيا البشرية وتوزع السكان على سطح المعمور آنذاك وأثر البيئة الطبيعية والمناخ منها بشكل خاص ، على الإنسان وتوزعه وحياته ولغاته والحرف التي أخذ بها . الخ . . ، بحيث تصبح الجغرافيا البشرية نتاجاً للوسط الجغرافي عبر شقي الحتمية والامكانية ، الأمر الذي سنحاول تسليط الضوء عليه فيما يلي .

فالجغرافيون اليونان يرون أن البيئة الطبيعية هي التي شكلت الإنسان ودفعته الى الإتجاه الذي تريد ، وبالتالي فالإنسان هو من صنع البيئة الطبيعية ، وبشكل خاص الظروف المناخية . فبركليس رأى آثار المناخ على النبات والحيوان والإنسان والحرف التي يمتهن وعاداته الإجتماعية ووضعه الإقتصادي وحتى بنائه الجسماني ولغته المميزة له عن الحيوان . وبلاستناد الى ذلك قسم الأرض الى ثلاثة أقاليم هي :

- ١ - الإقليم الشمالي ( وسط أوروبا ) ،
- ٢ - الإقليم الجنوبي ( السودان ) ويضم ليبيا ومصر ،
- ٣ - الإقليم الأوسط<sup>(١٨)</sup> . (١٠٥) .

أما هيرودوت فيرى أن السكان هم ثمرة المناخ من جراء تأثيره على الإنسان ويضيف قائلاً : « . . لا توجد أية مغالاة في أثر العامل الطبيعي وعامل المناخ . وهو يؤكد أن هنالك عوامل أخرى غير المناخ والسلالة (Race) هي التي تتحكم في تقدم الإنسان وتشكيله وهي عوامل اجتماعية وحضارية»<sup>(١٩)</sup> . ويشير هيرودوت الى أن مناخ اليونان الممتاز أدى الى نوع البشر الممتاز . ونختم الكلام هنا عن اليونان بعبارة هيرودوت المشهورة « مصر هي هبة النيل » ، حيث واضح الإهتمام لديه بأثر الظروف الطبيعية في حياة الإنسان .

هذا في حين أن الجغرافيا عند الرومان اتجهت نحو الجانب العملي كالطرق

(١٨) د. فؤاد محمد الصقار ود. محمد رشيد الفيل ، أصول الجغرافيا البشرية ، ص ١٤ - ١٥ .

(١٩) د. فؤاد محمد الصقار ود. محمد رشيد الفيل ، أصول الجغرافيا البشرية ، ص ١٥



والمواصلات والعميران الخ . . . مهتمة بالتركيز على أثر البيئة الطبيعية ، وبشكل خاص المناخ ، على الإنسان . فسترابون يرى « أن المنطقة الاستوائية ( الإقليم الأول ) لا يمكن أن تسكن بالبشر بسبب الصعوبات المناخية ، لأنه يؤمن بأن الجغرافيا الطبيعية عامة ، والعامل المناخي منها خاصة ، لها أثرها على الإنسان وتكوينه للحضارات . وهو يعزي نفوق الامبراطورية الرومانية الى الصفات الطبيعية الممتازة والملائمة التي تتمتع بها إيطاليا»<sup>(٢١)</sup> .

أما بطليموس في كتابيه « المجسطي » و« الجغرافيا » فقد تحدث في الأول عن الفلك وحركات النجوم وفي الثاني عن تقسيم العالم الى سبعة أقاليم مناخية : الأول والثاني يتميزان بالحرارة الشديدة ، والسادس والسابع بالبرودة الشديدة ، والثالث والرابع والخامس بالإعتدال . ويرى بطليموس أن الإنسان يختلف عن مثيله في هذه الأقاليم جسمياً وحضارياً . فالناس في الأقاليم الحارة سود البشرة متخلفون حضارياً في حين هم في الأقاليم المعتدلة يتصفون بالتقدم والتطور . كما أشار بطليموس الى اختلاف السكان حسب خطوط الطول ، فالشرقيون ، برأيه ، يتصفون بأغلب صفات الشمس ، أما النوبيون فبأغلب صفات القمر<sup>(٢١)</sup> .

#### الجغرافيا البشرية عند العرب

يعتبر العرب ، حسب المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ، أول من كتب في ميدان الجغرافيا البشرية ، حيث كتاباتهم تفوق في شموليتها وعمقها وتنوعها ما كتبه اليونان والرومان . وبالتالي فقد أغنوا هذا العلم بإضافاتهم التي اقتضتها ظروف حياتهم الجديدة . فقد كتب العرب ، في بعض حقول الجغرافيا البشرية ، كالجغرافيا الاقتصادية وكذلك التاريخية والانتروبولوجية ، عن كثير من مناطق العالم المعروفة منهم آنذاك . فتناولوا بالوصف مختلف نواحي حياة الناس في هذه المناطق ، فكتبوا عن العادات والتقاليد والحرف والأديان والطبقات الاجتماعية والمأكل والملبس ، كما درسوا علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية . وهذا الذي نقول يتجلى بوضوح كلي في مؤلفات المسعودي وابن خلدون . بالإضافة الى ما ذكرنا كتب الرحالة العرب في جغرافية المدن ، وخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس<sup>(٢٢)</sup> .

هذا وقد أبدع العرب الأندلسيون في وصف المدن الكبيرة . وقد ورد في مقدمة ابن خلدون دراسة فذة فريدة من نوعها عن نشأة المدن وتطورها مع الشرح المعمق لمقومات نشوء المدن والبداوة والحضارة وما اليها . ويعتبر اليعقوبي أول من كتب في

(٢٠) المرجع السابق نفسه .

(٢١) المرجع السابق ص ١٦ .

(٢٢) اد. فؤاد الصقار ود. محمد رشيد الغيل ، أصول الجغرافية البشرية ، ص ١٥ - ١٦ .

الجغرافيا البشرية . فقد كان شديد الحرص على تدوين ملاحظاته عن المناطق التي زارها ونعرف عليها وعن الشعوب التي تؤلف مجتمعاتها . فبناءً عليه فلا بد من لمحة موجزة عن كل منها : المسعودي وابن خلدون تستكمل في الهوامش .

فالمسعودي وضع مجموعة من المؤلفات أهمها « مروج الذهب » و« التنبيه والإشراف » ، حيث أشار في هذا الأخير الى أثر الشمس على السكان فقال : « وأما أهل الريح الشمالي ، وهم الذين بعدت عنهم الشمس وعن سمتهم ، من الواغليين في الشمال كالصقالبة والافرنجة وما جاورهم من الأمم ، فإن أثر الشمس قد ضعف عندهم لبعدهم عنها ، فغلب على أنواعها البرد وتبدلت أذهانهم وثقلت ألسنتهم وابتضت ألوانهم حتى أفرطت فخرجت من البياض الى الزرقة ورقت جلودهم وازرقت أعينهم وسببت شعورهم وصارت صهباً لغلبة البخار الرطب»<sup>(٢٣)</sup> . وقد قسّم الشعوب في مروج الذهب الى سبعة مجموعات (١٠٦) .

أما ابن خلدون صاحب المقدمة الشهيرة في التاريخ ، فقد وضع علماً جديداً في الحضارة البشرية ، حيث يؤكد على أثر المناخ في الإنسان وانتشاره وحضارته . وقد قسّم العالم المعمور آنذاك الى سبعة أقاليم (١٠٧) .

#### مدرسة الجغرافيا البشرية

الواقع ان الجغرافيا البشرية انتابها تطور كبير منذ أن انتقلت الى أوروبا في عصر الانبعاث وحتى اليوم ؛ وذلك من جراء التطور الذي حصل في الوسط الجغرافي وترجمته الواقعية في مدرستي الحتمية الجغرافية والامكانية الجغرافية ، اللتين تشكلان المرتكز النظري والعملي للمدرسة الجغرافية البشرية .

هذا والمدرسة الجغرافية البشرية الألمانية من أقدم المدارس الحديثة في الموضوع ، ومن أبرز ممثليها همبولدت وريتر وراتزل . فالأولان معها بدأت الجغرافيا الحديثة والثالث هو مؤسس الجغرافيا الانثروبولوجية والجغرافيا السياسية والجيوپوليتكا ، مع الإشارة إلى الدور الهام والأسبق والذي لعبه هنا كانت .

فهمبولدت حاول فيما كتب ( أنظر الفصل الأول من القسم الأول ) الربط بين الظروف الطبيعية والبشرية مع التركيز الدائم على كبير دور وأهمية الظروف الطبيعية - الجانب الطبيعي من الجغرافيا ، كما أشار الى أهمية دور وأثر الظروف الطبيعية للدول على أخلاق شعوبها . فقد رأى الخلاف القديم لدرجة الكلاسيكية فيما بين سكان الجبال وسكان السهول . وقد كتب في أثر البحر الأبيض المتوسط في نمو الحضارة في كل

---

(٢٣) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ أجزاء) ، بيروت ١٩٧٨ . نقلًا عن د. فؤاد محمد الصقار ود. محمد رشيد الفيل ، أصول الجغرافيا البشرية ، ص ١٧ .

من مصر وفينيقيا واليونان ، حيث كان لنشاط الناس البحري كبير الأثر في تبادل الأفكار وانتقال المظاهر الحضارية . كما أشار الى التأثير المباشر لصفاء الجو في بلاد العرب على سكانها الرعاة ، بحيث اهتموا بدراسة علم الفلك والنجوم وحركاتها . وأكد همبولدت أن الإنسان جزء من الكون وعنصر من عناصر توازن الطبيعة ، وبالتالي فدراسة الطبيعة لا تكتمل إلا إذا احتوى إطارها صورة الإنسان . ومعالجة همبولدت لأية ظاهرة على سطح الكرة الأرضية كانت تُتناول دوماً عبر علاقاتها وارتباطاتها المكانية الطبيعية والبشرية<sup>(٢٤)</sup> .

هذا في حين أن ريتز حدد مجال الجغرافيا بدراسة سطح الأرض والظواهر المتصلة به - بما فيها الإنسان المعبر ظاهرة من تلك الظواهر . وكان يركز على أثر البيئة في الإنسان إنما دون نسيان أثر الإنسان في البيئة ، ويرى أن الإنسان يمثل البيئة الطبيعية التي ولد فيها وتربى في أحضانها ، كما كان يرى أن الوطن ينعكس على سكانه . بالإضافة الى ذلك فقد رأى في التقدم التقني وسرعة الاتصالات والمواصلات وتجهيف المستنقعات الخ . : مما يجعل الإنسان أقل اعتماداً على العوامل الطبيعية ، مع أن ذلك في نهاية المطاف لا يمكن أن يحمره تحريراً كاملاً من آثارها . كما رأى أن ميزات السكان ونضجهم الروحاني وتحملهم المسؤولية ، كلها أمور تكمن في محيطهم الطبيعي . وبالتالي فقد رأى في التنوع التاريخي النتيجة الحتمية للتنوع الجغرافي ، الأمر الذي يؤدي الى التقدم الحضاري . وبالنسبة لريتز فكل من الإنسان والأرض يترابط مع الآخر ، بحيث لا يمكن فهم احدهما من دون الرجوع الى الآخر . ومع ذلك فنظرتة للجغرافيا البشرية كلاسيكية ، تعلق افعال الانسان بالمؤثرات الطبيعية وبشكل خاص التضاريس والمناخ منها<sup>(٢٥)</sup> .

أما مع راتزل فاتجهت الجغرافيا البشرية اتجاهات متعددة من جراء الكشوفات الجغرافية والتقدم العلمي . فقد وضع أسس الجغرافيا البشرية الحديثة في كتابه « جغرافية الإنسان » ( ١٨٨٢ - ١٨٩١ ) وتلاه كتابه المخصص للجغرافيا السياسية . ففي جغرافية الإنسان عالج عدة موضوعات غاية في الأهمية ، منها تطبيق الجغرافيا على التاريخ وانتشار الانسان وأثاره على سطح الأرض في الماضي والحاضر ومناطق العمران البشري .

أما س . تروول (C. Troll) الذي ظهر بعد راتزل ، فقد رأى أن الجغرافيا البشرية الألمانية تختلف عن حتمية راتزل واتجهت نحو مفهوم لها قائم على التاريخ . وقد تمثل هذا الإتجاه بوضوح لدى ر . غردمان (R. Gradman) الذي يرد المؤثرات

(٢٤) د . فؤاد محمد الصقار ود . محمد رشيد الفيل ، أصول الجغرافيا البشرية ، ص ١٩  
(٢٥) د . فؤاد محمد الصقار ود . محمد رشيد الفيل ، أصول الجغرافيا البشرية ، ص ١٩ - ٢٠ .

الجغرافية الى أصولها التاريخية ، متتبعاً تطورها حتى الوقت الحاضر . فحسب رأيه فالجغرافيا الحالية هي المحصلة المتشابكة الأطراف للتاريخ الطبيعي والبشري المستمر ، بحيث أن الجغرافيا الحالية تضم المظاهر الجغرافية المتنوعة المتأتية عن عوامل عديدة ماضية تفاعلت عبر الزمن حتى ظهرت وبرزت بصورتها الحالية . فالحاضر يمثل آخر مرحلة من مراحل الماضي المستمر<sup>(٢٦)</sup> .

فالجغرافيا البشرية ، بالنسبة لترول في العام ١٩٤٧ ، تصف المرئي والوظيفي ، وتعمل على إبراز الروابط المشتركة للمظاهر الجغرافية أكثر من البحث عن أسبابها ، وهي تستخدم التاريخ لفهم مراحل التطور ، لأن الجغرافيا البشرية في نظره حركية متطورة ، وليست ساكنة جامدة<sup>(٢٧)</sup> .

#### مدرسة الجغرافيا البشرية الفرنسية

مؤسس الجغرافيا البشرية الفرنسية هو فيدال دي لابلانث ، الذي كان له كبير التأثير على الجغرافيين الفرنسيين أمثال ديمينجون ومكسيمليان وغيرهما . بعد وفاة دي لابلانث جمع صهره ديمينجون أعماله ومقالاته المتعددة في كتاب سماه « أسس الجغرافيا البشرية » (Principes de geographie humaine) طبع عام ١٩٢٢ ، درس دي لابلانث تأثير البيئة بشكل خاص ، حيث انتهى إلى أنها لا تستطيع أن تفرض قوانين حتمية ، على اعتبار ان كل ما له علاقة بالإنسان ، يبقى في حدود الإمكان ( أنظر الفصل الأول - الإمكانية الجغرافية - من القسم الأول الجغرافية الاقتصادية ) . وبالتالي فقد اتصف تفكيره بالفطنة والاحتراص . كما كان يشير إلى أهمية الناحية العملية في الجغرافيا الى جانب أهميتها العلمية . وقد تجلّى له الترابط الحقيقي بين الطبيعة والإنسان في نوع النباتات في كل إقليم ، والتي تعتمد بدورها على التربة والمناخ . كما اعترف بقوة الابتكار لدى الإنسان بحيث يؤثر في بيئته الطبيعية ويتأقلم معها ويغير فيها<sup>(٢٨)</sup> .

ومن أهم ما درس دي لابلانث أنماط الحياة . وكان له كبير التأثير في أ. ديمينجون الذي توفي عام ١٩٤٠ . وقد جمعت دراسات ديمينجون بعد وفاته في مؤلف أطلق عليه اسم « مشاكل الجغرافيا البشرية (Problèmes de Geographie humaine) » .

هذا وإذا ما عدنا الى تعريف ديمينجون للجغرافيا البشرية والوارد آنفاً اتضح لنا

(٢٦) المرجع نفسه ص ٢٠ - ٢١ .

(٢٧) د. فؤاد محمد الصقار ود. محمد رشيد الفيل ، أصول الجغرافيا البشرية ، ص ٢٠ .

(٢٨) المرجع نفسه ص ٢٠ - ٢١ .

أنه يرفض الحتمية المطلقة ويأخذ بالإمكانية . كما أنه يرفض اتجاه علم الاجتماع الذي يهتم بدراسة الجماعات من دون دراسة الأرض التي تعيش عليها . وبالتالي فهو ينحو منحى وسطاً بين الإتجاهين ويرجع دوماً الى الماضي لتفسير الحاضر .

#### مدرسة الجغرافيا البشرية البريطانية

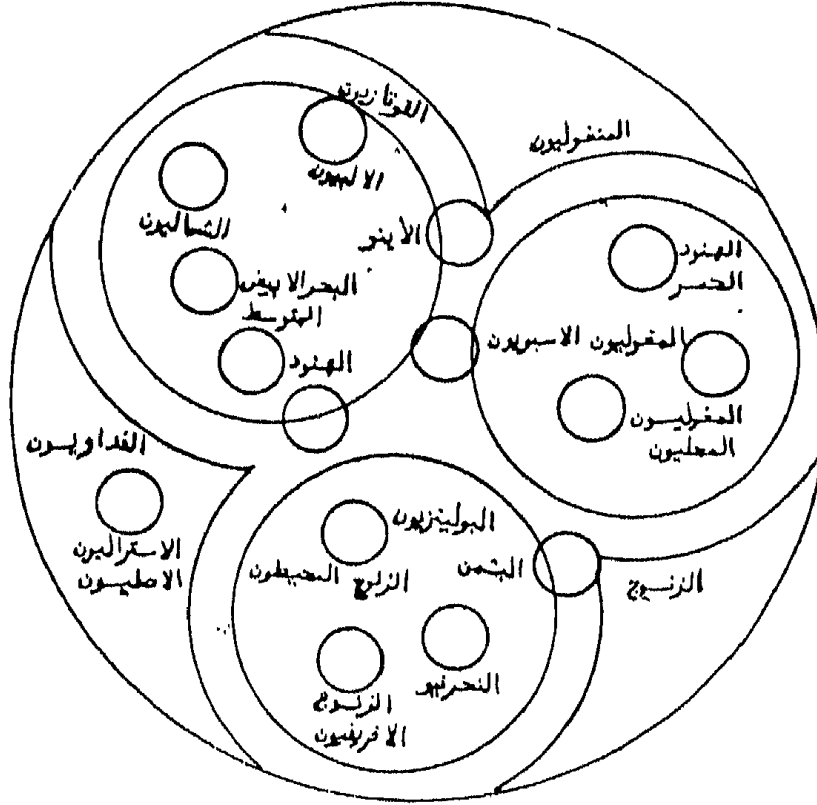
إعتمدت الجغرافيا البشرية البريطانية على التاريخ كما عند دربي (Darby) ، بحيث اعتمدت الوثائق التاريخية أدوات أساسية في أبحاثها . أما روبنسون في كتابه « الجغرافيا البشرية » فيرى انها تدرس ما له علاقة بالانسان وعلى الأخص فيما يتعلق ببيئته ، وهي ذات أهمية لأنها تتعلق بفعاليات الانسان وآرائه متأثراً بذلك بالمدرسة الفرنسية البشرية .

والآن بإمكاننا الاستعراض الموجز كل الإيجاز لأهم موضوعات الجغرافيا البشرية حسبها ذكرنا ، مشيرين إلى أن المدرسة الماركسية لا تعترف بشيء اسمه الجغرافيا البشرية - القائمة على الوسط الجغرافي مع الحتمية الجغرافية والامكانية الجغرافية .

#### العروق والأجناس البشرية في العالم

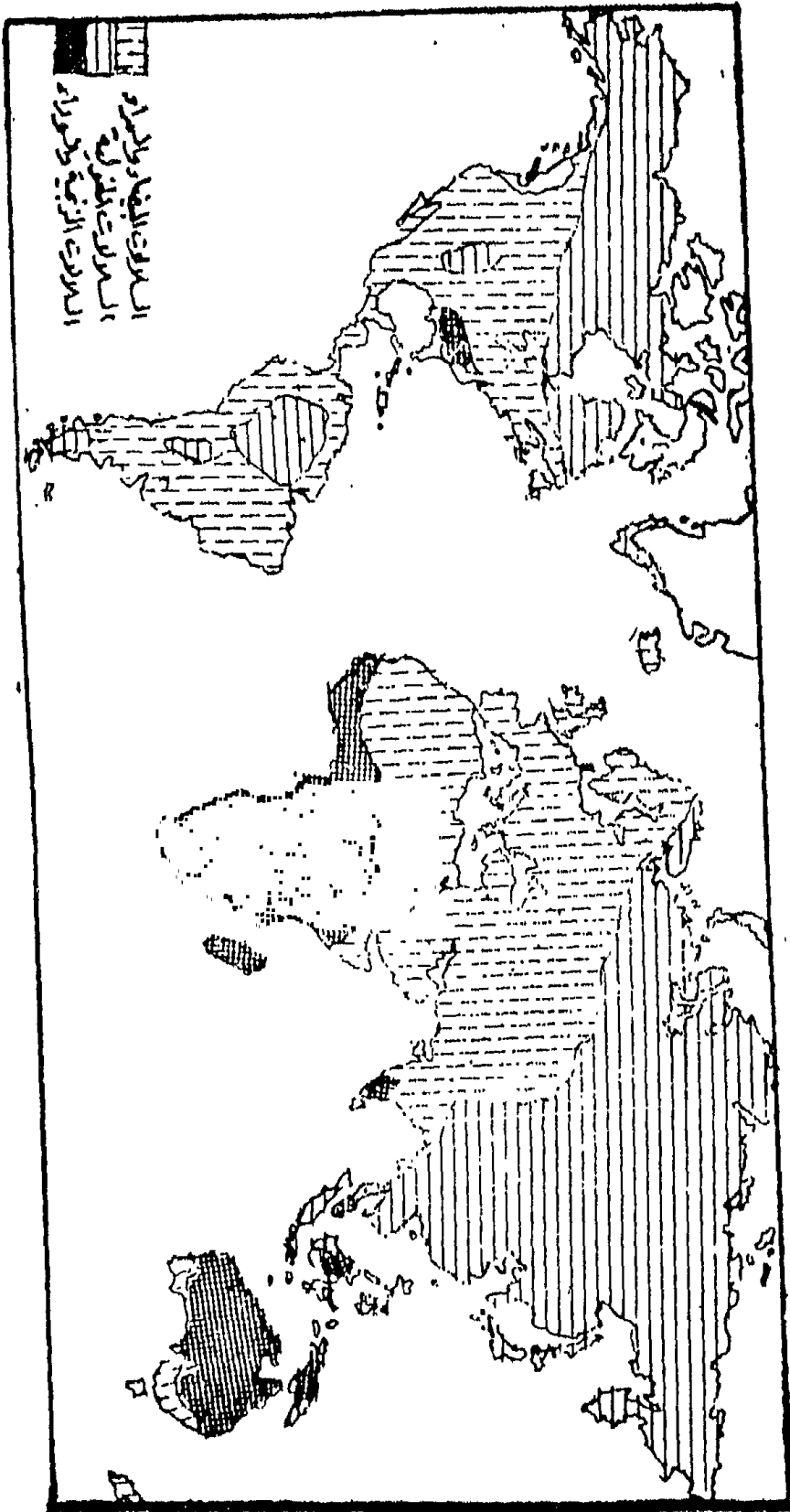
العرق هو مجرد الوراثة البيولوجية للخصائص الجسمانية ، كلون الجلد والقامة والجسم وشكل الشعر ، الخ . . . هذا وتعود كل نماذج الإنسان المعاصر لجنس « الأوموسابيان » ( الإنسان العاقل ) ، الوحيد الذي تمكن من التأقلم والعيش . ولا وجود اليوم للعروق الصافية ، من جراء تنقل الشعوب واختلاطها . وبالمناسبة يقسم البشر حسب الأجناس واستناداً الى لون الجلد الى خمسة أجناس : الجنس الأبيض والجنس الأصفر والجنس الأحمر والجنس الداكن والجنس الأسود . أما حسب العروق فهناك ، حسب علم الأنتروبولوجيا ، الذي يعتمد شكل الجمجمة ولون الشعر بشكل عام ، هناك ستة عروق : القوقازي ( أبيض ) ، والمنغولي ( أصفر ) ، والزنجي ( أسود ) والاسترالي ( أسود ) ، والافريقي الجنوبي ( أصفر غامق ) والقزمي . وفيما يلي خارطتا انتشارها في العالم ( أنظر الخريطين رقم - ١١ - و - ١٢ - ) ومخططها رقم - ٣ - ( ١٠٨ ) .

المخطط البياني رقم - ٣ -



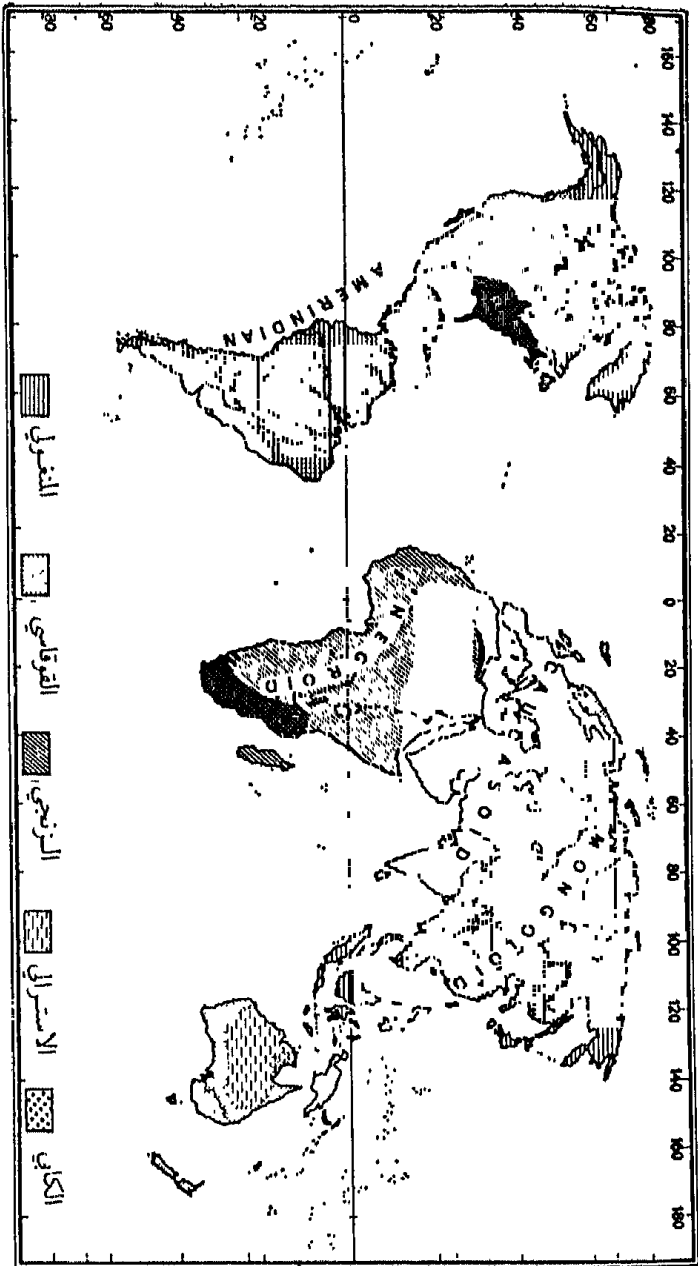
مجموعات الأجناس المختلفة

الخريطة رقم - ١١ -



مجموعات السلالات الرئيسية في العالم

الخريطة رقم - ١٢ -



العروق في العالم

تتبر هذه الخارطة البسطة ال توزع مجموعات العروق الرئيسية في العالم وفي بعض أنحاء العالم ، خصوصاً في أمريكا الوسطى والجنوبية وجنوبي شرقي آسيا ، جرى اختلاط كبير للعروق . كما يوجد بعض الأقسام من النغريلوس والنغريتوس (Negritos and Negritos) مبعثر في أفريقيا الوسطى وجنوبي شرقي آسيا .

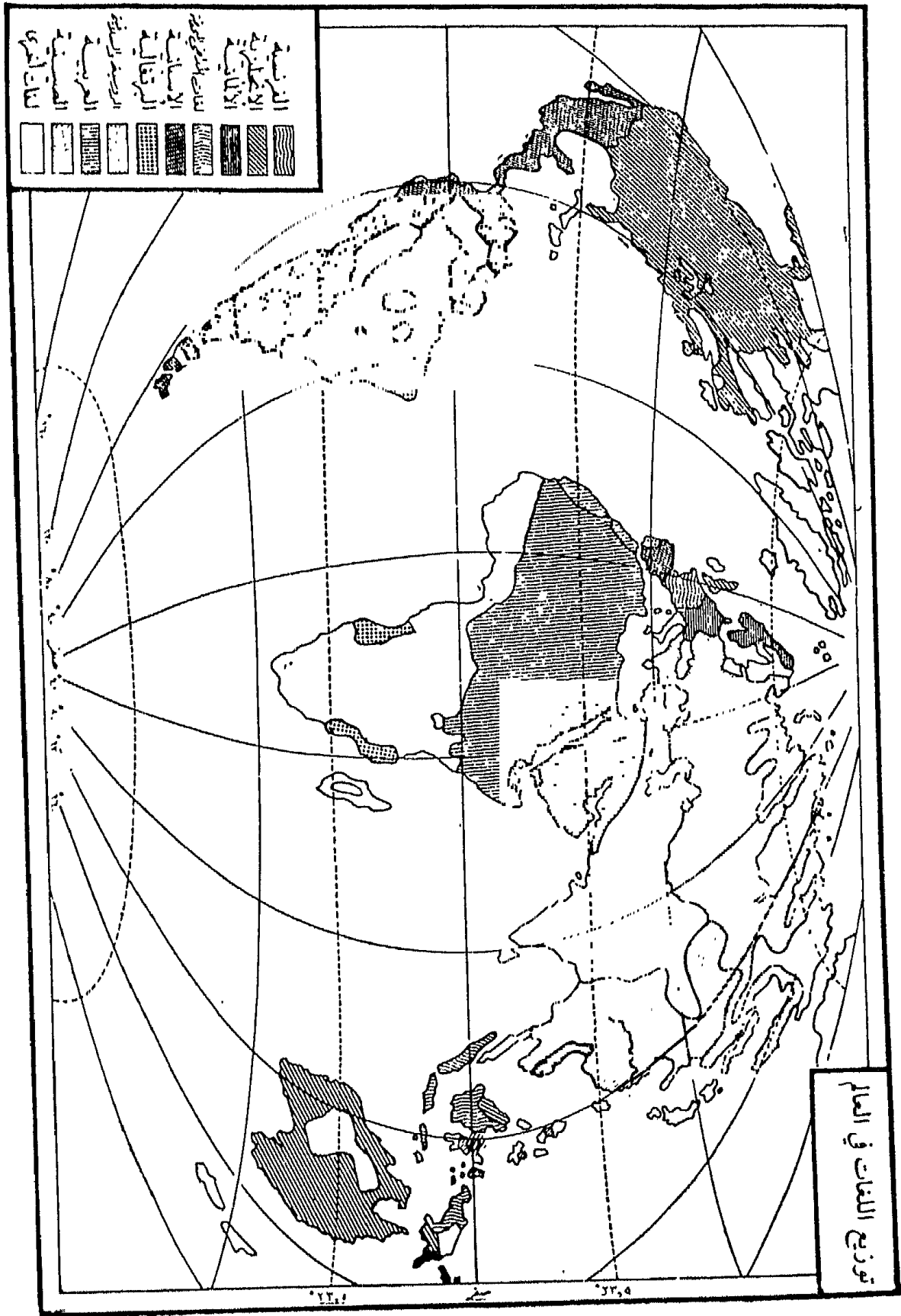


## الجغرافية الاجتماعية

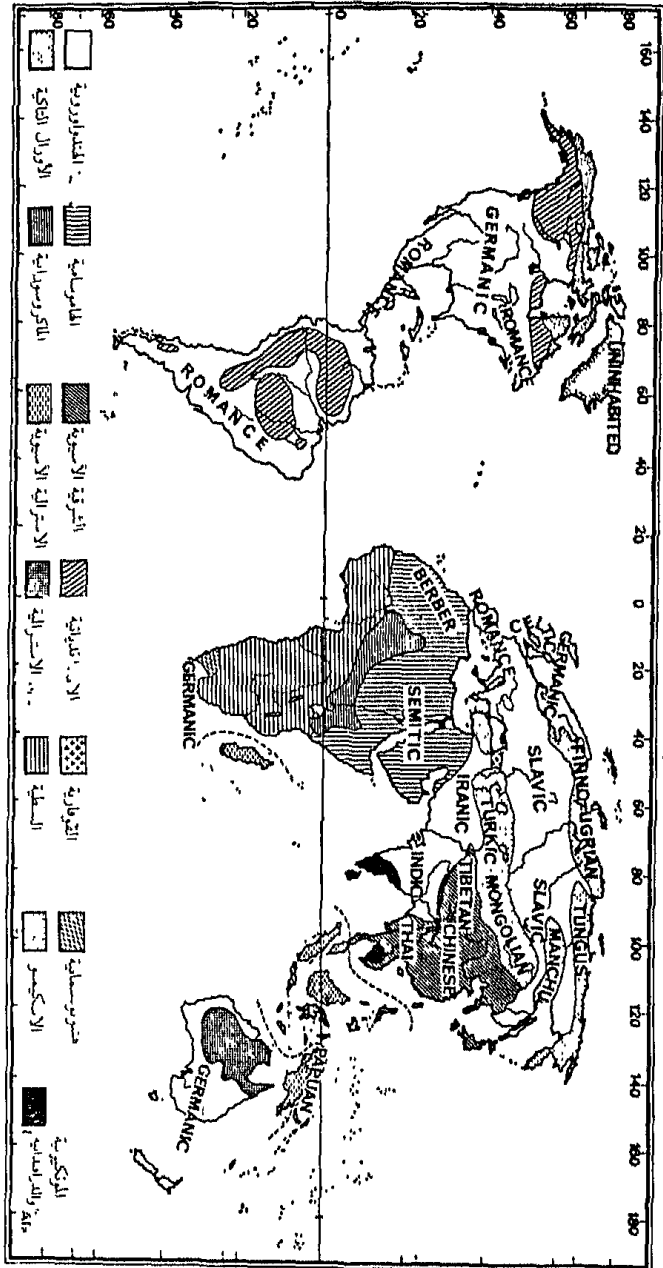
النقطة الأولى هنا هي حضارة الإنسان ، التي تحدد بإيجاز كمجموع طريقة الحياة لشعب ما ، وبشيء من الإسهاب كمجموع الأفكار والاعتقادات والمؤسسات والمهارات والإدارات والحرف التي يمتلكها شعب ما في مرحلة ما من تطوره التاريخي ، هذا مع الإشارة الى كون الحضارة في ديناميكية مستمرة تجعلها تنتقل من مرحلة الى أخرى ، بفعل الاكتشافات والجديد من داخلها وأيضاً الاكتشافات والجديد الذي يطرأ عليها من الخارج . وهذا يشكل عاملي التطور والانتشار لتقدم المجتمعات البشرية ، دون إمكانية المعرفة الدقيقة لنسبة كل من هذين العاملين في عملية دفع المجتمعات البشرية هذه الى أمام .

والنقطة الثانية هي الحضارة والجغرافية ، حيث العلاقة المتبادلة الفعل بين الإنسان والطبيعة ، مع ترجيحنا لتفوق فعل الإنسان فيها ، الذي يبرز حضارياً في البناء والزراعة والصناعة ومرتكزات الحياة الأولية من ماء وكهرباء ومواصلات بالإضافة الى المرافق وأماكن ووسائل التسلية الاجتماعية .

أما النقطة الثالثة فهي لغات البشر . فاللغة هي مرآة الحضارة . وهناك حوالي ٦٠ مجموعة لغوية رئيسية ، وفي البعض منها أقسام ثانوية ، وفي الأقسام الثانوية عدة لغات . وتعود أهمية اللغة العملية الى كونها عامل لحمة ووحدة للجماعة ووسيلة للتبادل والعمل وكذلك هي تساعد في إلقاء الضوء على تحركات واحتكاكات الشعوب في الماضي . أما اللغات التجارية فهي الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والروسية والألمانية . وفيما يلي خارطتان لتوزيع اللغات في العالم ( أنظر الخريطتين رقم -١٣- ورقم -١٤- ) .



الخريطة رقم - ١٤ -

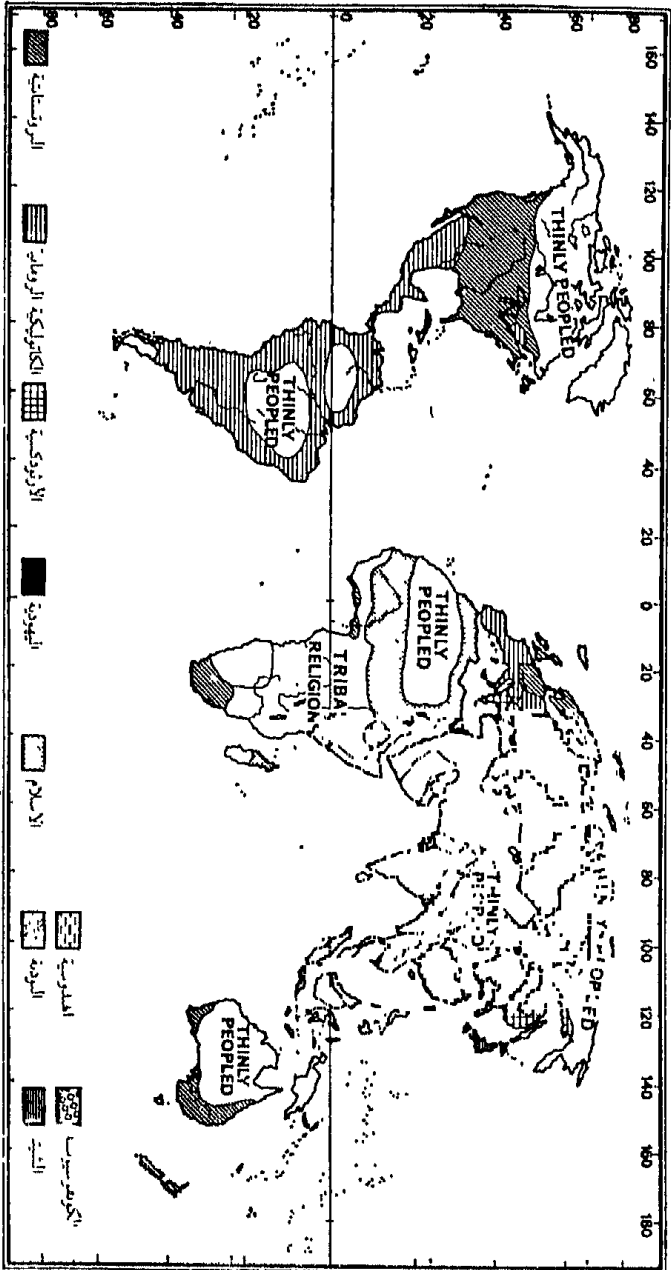


مجموعات لغات العالم

العالم هو في الحقيقة بابل اللغات . الخريطة تشير فقط الى مجموعات اللغات الرئيسية ، حيث في كل منها في الواقع العديد من اللغات . فكل سبيل المثال يوجد في الهندشية القارية وحدها عدة فزعات من اللغات الى جانب الاكلمرية التي كانت لغة طرية اللغة الرسمية في المنطقة . واللغة الاكلمرية هي الاكز ما يكون انتشاراً بين كل لغات العالم .



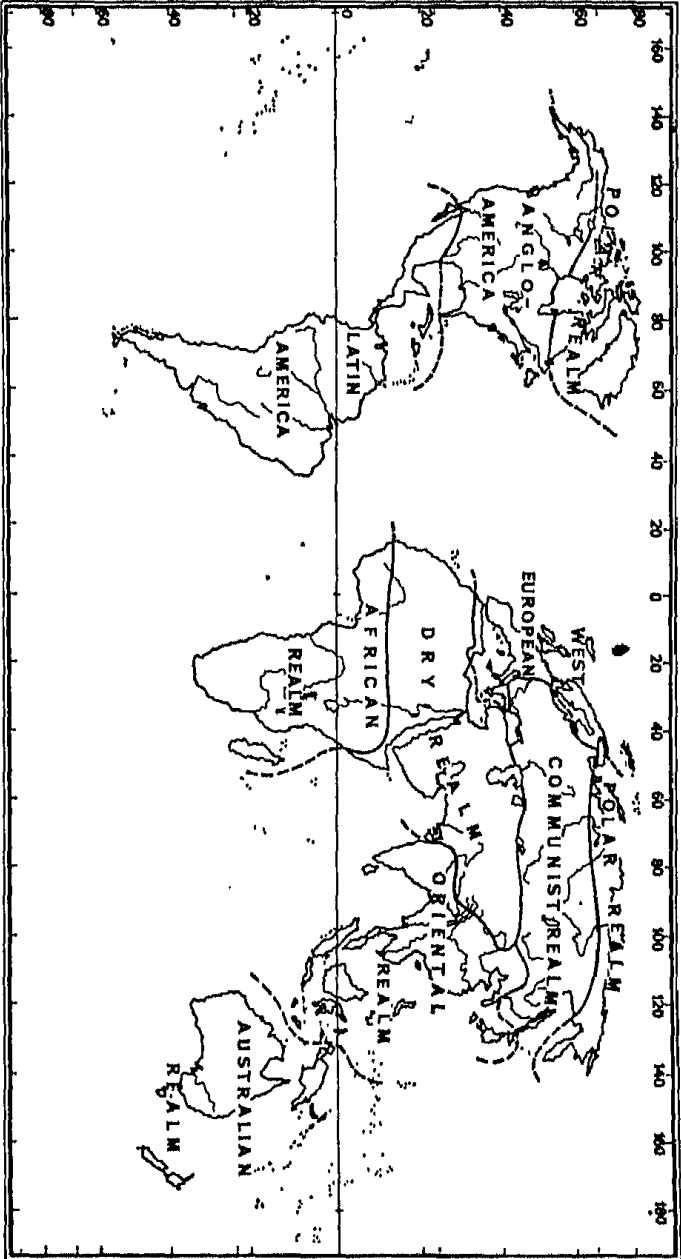
## الخارطة رقم - ١٦ -



## الاديان في العالم

العالم القديم هو مهد ديانات البقرية الكبرى ، والشرق الأدنى كان مهد الديانات الموحدة الثلاث ، والتعريب غير المتمدنة هي عادة وثنية (animists) وتعتمد أن الطبيعة مسكونة بالأرواح . الديانة المسيحية يختلف تسمياتها انتشرت في كل أنحاء العالم . هذه الخريطة هي بالطبع مبسطة للغاية .

الخريطة رقم - ١٧ -



المناطق الحضارية في العالم

تشير الخريطة الى المناطق الحضارية الرئيسية في العالم ، وكل منطقة يمكن ان تقسم الى عدة اقسام . هذا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية مع كل البلدان الشيوعية في أوروبا الغربية بالإمكان اعتبارها منطقة حضارية خاصة بسبب تجاورها في الاقتصاد والتنظيم السياسي .

في حين ان النقطة الرابعة تهتم بالديانات البشرية ، حيث المسيحية والإسلام واليهودية والبوذية والهندوسية والكونفوشيوسية ، وكذلك توزعها الجغرافي ( أنظر الخريطين رقم -١٥- ورقم -١٦- ) . أما النقطة الخامسة فتهم بالفن وتوزعه الجغرافي وأثر البيئة فيه . والنقطة السادسة والأخيرة تعني بالمناطق الحضارية ، حيث القطبية والأوروبية والانكليزية والامريكية والاميركية اللاتينية ، والجافة والافريقية والشرقية والاسترالية والباسيفيكية ( أنظر الخريطة رقم -١٧- ) .

ولا بد لنا من ملاحظة وهي أن هذه النقاط التي عرضناها بمجرد ذكر الأسماء ، نرى في تحديدها وشرح مفاهيمها وتاريخها وتطورها بعداً عن الجغرافية ما عدا خرائط توزعها الجغرافي .

هناك أيضاً في الجغرافية البشرية جغرافية الريف وجغرافية المدن ، حيث الدراسة لمظاهر الحضارة وال عمران ، في كل منهما ، وحيث لنا نفس الملاحظة التي سجلنا الآن ، إنما مع إتساع شبكة العلوم هنا لتشمل العلوم الوضعية التطبيقية ، إنما مع اتساع شبكة العلوم هنا لتشمل العلوم الوضعية التطبيقية ، كما أنا سوف نذكر بعض الشيء عنها في القسم الثالث : جغرافية السكان .

وبالتالي فالأخذ بعنوان الجغرافية البشرية يقزّم العناوين التي تحوي ، فالجغرافيا الاقتصادية تضر ، وهي الأساس في تطور المجتمع البشري ، وكذلك الأمر بالنسبة للجغرافية السكانية والجغرافية السياسية ، بحيث يضيع الوضوح بالنسبة للموضوع الأساسي ، وهو هنا الجغرافية الاقتصادية ، كما يمكن أن يكون الجغرافية السياسية . لذلك نرى أن الجغرافية البشرية أصلح للدراسة الاقليمية ولتبقى في إطارها وهو الأفضل .